Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (2) August(2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

النظام الجنائزي في العراق القديم من منظور فلسفي

م.م. سجى نعيم عبد
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

The Funerary System in Ancient Iraq from a Philosophical Perspective

Assistant Professor Saja Naeem Abdul
Al-Mustansiriya University - College of Arts
sajaname@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

يعد النظام الجنائزي في العراق انعكاسا عميقا للمنظومة الفكرية وابروحية التي سادت في حضارته القديمة مثل السومرية والبابلية والاشورية واستمرت بتأثيرها في العصور اللاحقة حتى يومنا هذا ونحن هنا نتناول الجانب الفلسفي فيه الذي يكشف لنا عن العلاقة المعقدة بين الانسان والموت وعن فهم وجودي يربط بين الجسد والروح والمصير بعد الموت **الكلمات المفتاحية** :- الطقوس الجنائزية – مراسيم الدفن – الروح والجسد – منظور فلسفي

Abstract

The funerary system in Iraq is a profound reflection of the intellectual and spiritual systems that prevailed in its ancient civilizations, such as the Sumerian, Babylonian, and Assyrian. Its influences have continued in subsequent eras, even to the present day. From a philosophical perspective, this system reveals the complex relationship between man and death, and an existential understanding that links the body, soul, and destiny after death.**Keywords:** Funeral rites - Burial ceremonies - Soul and body - Philosophical perspective.

المقدمة:

منذ فجر الحضارات كان تعامل الانسان مع الموت مراة تعكس رؤيته للوجود ومعنى الحياة وحدود المعرفة ففي لحظة الفقد يتوقف الزمن الشخصي وتبدا طقوس تسعى لفهم المجهول ولاضفاء نظام على الفوضى التي يخلفها الرحيل الابدي وهنا لا يعد النظام الجنائزي مجرد اجراءات مادية لوداع الجسد بل هو تمظهر فلسفي عميق لتصور المجتمع عن الحياة والموت والروح والجسد المقدس والدنيوي في العراق الارض التي انجبت اولى الحضارات يمتزج الموت بذاكرة التاريخ ويتجسد النظام الجنائزي كنسيج مركب من المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية والموروثات الثقافية التي تمتد جذورها الى الالف السنين ومن خلال هذا النظام يمكن تامل كيف يواجه الفرد والمجتمع فكرة الفناء وكيف يعاد تشكيل المعنى في لحظات النهاية ،ان دراسة النظام الجنائزي في العراق ليست مجرد رصد لطقوس وعادات بل هي قراءة فلسفية لكيفية اشتباك الانسان مع اكثر الاسئلة وجودية ما الموت وكيف نحياه عبر طقوسنا وما الذي يكشفه وداع الاموات عن حياتنا نحن الاحياء.

أولا: الطقوس الجنائزية: من طقوس الدين لسكان وادي الرافدين هي الطقوس الجنائزية حيث انها تعتبر جزء مهم من تقاليدهم حيث عد خاصية حضارية لتميز بين مجتمع البدو والحضر و يوصفون بانهم الذين لا يملكون بيوتنا طول حياتهم ويسكنون الخيام وياكلو اللحم نيئا ولا يقدموا على دفن موتاهم (حنون ن.، ص٢٧٤، ٢٠١٨) وكانت الشعائر الجنائزية تقام لهدفين، الهدف الاول : ارضاء الالهة بصورة عامة اي الهة العالم السلفي والعلوي على حد سواء (حنون ن.، ص٢٧٤، ٢٠١٨) حيث كانت تلك الشعائر تتضمن تقديم القرابين والهدايا الى الالهة لان ارضاء الالهة يؤدي بالتالي الى ضمان حسن معاملتهم لروح الميت الذي ياخذ الهدايه معه الى العالم الاسفل ليقدمها الى الالهة الموجودة فيه بحسب معتقداتهم وهو ذات الامر الذي فعله جلجامش بعد نزوله الى العالم الاسفل كما تروي اسطورة موت جلجامش اذ تشير الاسطورة الى ان جلجامش قدم الهدايا التى اصطحبها معه الى ملوك العالم السفلي وايضا الى الموتى المهمين والمتمثلين بالكهنة وغيرهم ، بالاضافة الى جلجامش قدم الملك

السومري اور–نمو قدم بعد وفاته ونزوله الى العالم الاسفل الهدايا الى عدد من الالهة ، كما انه ذبح الثيران والاغنام الكبار وقدم الاسلحة والحقائب الجلدية والانية والحلي والاحجار والملابس وسائر المصوغات الى كل من الالهة تركال وجلجامش وغيرهم (حنون ي.، ٢٠١٨)و السبب الثاني في اقامة هذه الشعائر هو الخوف من ارواح الموتى بعد انفصالها عن الجسد فيمكن ان تخرج من العالم السفلي وتسبب الاذى للاحياء كما ان انقطاع الطعام والشراب يؤدي الى ضجر تلك الارواح ومن ثم اثارة غضبها وخروجها من العالم الاسفل الى عالم الاحياء لتاكل ما يلقيه الناس من بقايا الطعام في الشوارع والتربص للاحياء لتشعرهم بوجوب ذكرها والا فانها سوف تلحق الاذى بهم (حسين، ٢٠٠٩)ان الطقوس والشعائر الجنائزية تختلف باختلاف مكانه الشخص ومنزلته الاجتماعية ولكون الموت حتمي على البشر فان الخلود هو من نصيب الالهة ونجد هذا في الشطر من الاسطورة التالية "وحدها الالهة تعيش ابد تحت الشمس ،اما البشر فتيامهم معدودات وكل ما يجزونه لا يعدو ريحا ذاهبة" (رو، ١٩٨٤، صفحة ١٤٥)في المعتقد الرافدي نزهو الالهة بفكرة الخلود كونها لا تشبه البشر وذو صفات مختلفه عنه اضتفة الى ان الموت الذي يواجهه الالهة لا يحدث في انفاصل مادي بين الروح والجسد وان الموت بالنسبه لهم هو مجرد معناتهم لمرحلة الانتقال بين عالمين وهذا مايفسر انتقال الالهة ونزولهم الى العالم الاسفل هو ليس موت بمعناه الحرفي وذلك لان الالهة مستمرة بالوجود في العالم الاسفل ويماروسون مسؤلياتهم ودليل ذلك اسطورة جلجامش عند موت صديقه (علي، ١٩٨٥، صفحة ٣٥٥) وكذلك اسطورة انانا عند نزولها الى العالم الاسفل : اني نازلة الى العالم الأسفل فاقم عليه المناحه في الخرائب واقرع الطبل من اجلي في قاعة المعبد وطف من اجلي في بيوت الالهة والطم عينك من اجلي والطم فمك من اجلي والطم الكبير من اجلي حيث وتسربل من اجلي كالمتسول بثوي واحد (الجولاني، ١٩٨٨ ، صفحة ١٢٨)

ثانيا: مراسيم الدفن

اولا. القبور العامة قام سكان بلاد الرافدين دفن الاموات في مواضع مختلفة يؤدي كل منها الغرض المبتغى من عملية الدفن وهي ضمان نزول الروح إلى العالم السفلي وحفظ بقايا الجثة بعيداً عن الايدي العابثة لضمان السكينة لروح واستقرارها في ذلك العالم و الدفن تحت ارضيات المساكن يمثل اقدم ما اتبع في دفن الاموات في تاريخ وادي الرافدين واستمر هذا التقليد حتى بدايات الالف الثالث قبل الميلاد اذ كشفت التنقيبات الاثارية في موقع مدينة نفر عن ممارسة دفن الاموات تحت ارضيات المساكن ابتداءً من عصر فجر السلالات الاول وفي مدينة كيش (تلول النقرة على بعد ٢٠ كم شرق بابل) كانت جثث الموتى تدفن تحت ارضيات المساكن وغرف المنازل فقد كانت القبور العائدة الى هذا العصر عبارة عن حفرة تحت ارضيات المنازل اذا يستمر السكن فيها حتى بعد القيام بالدفن وان هذه الطريقة من الدفن كانت شائعة في ذلك الوقت بين عامة الناس وعلى اختلاف طباقتهم الاجتماعية (حنون ي.، ٢٠١٨، صفحة ٥٣ وما قبلها)ان السبب الرئيسي للدفن تحت ارضيات السكن والبيوت هو ان الموت لايعتبر نهاية الانسان بحسب اعتقاد سكان بلاد الرافدين وانما تعبر عن الاستمرارية في اعتبار المتوفي عضو في العائلة لاينبغي الابتعاد عنها حتى بعد وفاته و ان وجود مكان للدفن داخل المنزل يمثل السبيل الافضل للمحافظة على الجثة من التخريب والعبث وبالتالي ازعاج روح المتوفي في العالم السفلي وان هذا الاتجاه في دفن الاموات يمثل تعبير عن عواطف الاحياء اتجاه المتوفي طالما لم يناقض العقيدة الدينية التي كان يدفن بموجبها اينما كان موضعه ولايسبب في ازعاج الروح في عالمها الموجود تحت الارض ويقوم سكان وادي الرافدين الدفن في مقابر مخصصة لهذا الغرض وبمساحات محددة داخل المدن او خارجها حيث كشفت التنقيبات الاثرية عن الكثير من المقابر المنفردة والتي تعود إلى فترة الالف الثالث قبل الميلاد وكانت هذه القبور تحفر بشكل بسيط في الارض وباعماق مختلفة من قبر لاخر لتمدد الجثة فيه باوضاع مختلفة وبعد القيام بوضع الجثة يغطى القبر بقطعة من الحجارة ليتم تغطية بشكل كامل ، اما مراسيم وشعائر الدفن الخاصة بهذا النوع فهي مماثله لما سبق ذكره من تقديم القرابين وغيرها. (حنون ي.، ٢٠١٨، صفحة ٥٣ وما قبلها)

ثانيا .القبور الملكية كما هو معروف ان وفاة الحاكم او الملك يلقي بضلاله على عامة الشعب وفي بلاد الرافدين كان لوفاة الملك يعتبر نذير شؤوم لمستقبل البلاد ولجميع الافراد وكان وفاة الملك مرتبط بالطوالع السيئة لكواكب التي تؤثر سلبا على البلاد ويتم اعلان الحداد في البلاد ويتم دفن الملك في العاصمة او مركز المدينة ويكون خليفته من بعده مسؤولاً عن عملية تشييع الملك ودفنه (سليمان، صفحة ٣٩) يجتمعون الناس على الطريق الذي تمر فيه جنازة الملك بعد ان تم وضعه في نعس مفتوح من الاعلى ليتسنى لشعب القاء نظرة اخيره عليه ولكي يودعوه والنواح والبكاء على الملك يرافق تشييع الجنازة وكانت القرابين تقدم للالهة حال وفاة الملك من اجل ان تشمل الالهة ملكهم برعايتها في حياته الاخرى ، وكان الشعراء يؤلفون الرثاء التي تمجد الملك وتسرد صفاته مع الدعوات الى الالهة للحفاظ على الملك في انتقاله الى العالم الاسفل ونجد هذا النوع من الرثاء في الكثير من النصوص المسمارية ومنها رثاء الملك كلكامش (الوردي، ٢٠٠٦ ، صفحة ٧١ وما بعدها) من هذا المقابر هي مقبره اور الملكية والتي تضم قبور ملوك تلك السلالة مع كنوزها الذهبية اختلف الباحثين في ارائهم حول هذه المقابر فمنهم من اعتبر ان هذه

المقابر وما فيها من جثث تمثل تضحية بشرية من ا لاتباع والحاشية من اجل سيدهم الملك لمصاحبته في رحلته إلى العالم الاخر ، وان نظام الدفن الجماعي فيها هو عبارة من تضحية الاتباع لمصاحبة الملك في رحتله الابدية وهذه عادة كانت معروفة عند الشعوب القديمة اما المجموعة الثانية فانها ترى ان هذه المقابر لم تكن مدافن وانما مثلت طقوساً بدائية لعقيدة الخصب في الالف الثالث قبل الميلاد والتي كان من ابرزها ما يعرف بالزواج المقدس وهو الزواج الذي اعتقد الاقدمون باهميته واقامته كل عام لضمان اسباب الخصب والنماء في المجتمع ، واعتقد اصحاب هذا الرأي انه ليس من الضروري ان يكون الملك والملكة الشخصين الرئيسيين في هذا الزواج وانما كان دور الزوج الاله اي ألة الخصب دموزي يستند إلى احد الكهان بين تقوم معه احدى الكاهنات لتؤدي دور الزوجة الالهة اي الالهة الخصب –أنانا وبعد ان يتم الكاهن والكاهنة دورها في تمثيل او محاكاة الزواج المقدس كان يجري قتلهما ودفنهما مع بقية المشاركين في اداء تلك الطقوس من الرجال (الواحد، ١٩٨٦ ، صفحة ١٤٤ وما قبلها)

ثالثا: الروح والجسد الثنائية الفلسفية. ان موضوع الروح والجسد من المواضيع التي شغلت الحضارات القديمة ومنها حضارة وادي الرافدين التي تناولت مسالة بعث الروح والثواب والعقاب ، حيث كان يعتقد شعب بلاد الرافدين إن روح المتوفي تغادر جسدها بعد موت الإنسان لتحصل على حياة جديدة ، و تكون تلك الحياة سعيدة أو تعيسة،على وفق ما خلفه صاحبها تلك الروح في حياته الأولى، أو وفق ما يحصل عليه المتوفي من طقوس دفن جنائزية و ما قدم له من قرابين من قبل ذويه ، و علاوة على هذا فإن تحديد مصير روح الميت كان أيضا يخضع لمحاكمة خاصة في محكمة أرواح الموتى في العالم الآخر الأرواح بوصفها صلة الوصل بين الإنسان و الآلهة و بين الاحياء والاموات في اغلب الأحيان، وهذا ما أشارت له سطور ملحمة جلجامش إذ وصفت روح صديقه أنكي بكونها أوتوكو و التي عرفت بانها الروح القوية قد صعدت من كور على شكل شبح (أنكيدو) الى العالم العلوي ليتعانق مع صديقه جلجامش ، إذ كانت أشباح الموتى وفق المنظور الفلسفي لديانة سكان بلاد الرافدين تستطيع الخروج من سجنها الابدي في العالم الاسفل بمناسبات و أحوال خاصة (فيروللو، ١٩٩٠، صفحة ٣٦)لذا فقد اعتقد السومريون أن الروح گيدم التي يكون معناها مخلوق الظلام تخرج من جسد الميت بعد دفنه ، لتستقر في كور الذي يمثل مثواها الاخير بعد أن تنفصل عن الجسد الفاني، و إن تلك الروح تبقى في أستراحة أبدية في المكان انف الذكر، و لكنها تملك القدرة على التواصل مع بني جنسها من الأرواح الأخرى كما أنها تستقبل القرابين التي تقدم للمتوفي، من ذويه ،و إن معنى مكان أرواح الموتى، الذي دُعي بـ كور قد خصه السومريون بكثير من الأوصاف و التسميات، منها مثلا إنه المكان الذي ترمى فيه أجساد الموتى، البعيد عن سومر، و ربما إنهم قد أستخدموا هذا الوصف كون مصطلح (كور) أول معانيه كانت تتمثل بالمنطقة الجبلية، أو الأرض الأجنبية، التي ربما كانت تعني المكان الجغرافي للمقابر السومرية أو هي أماكن دخول وخروج أرواح الموتى، اذ يذكر النص: كور مكان الروح المرسلة لتجد أستراحة أبدية في العالم (كريمر، بلا) وتذكر الأسطورة أيضا :ان الأرواح كثيرة العدد ومحبوسة في كور ،وانها تتالم بشدة عندما يقترف أبناء الموتى ذنبا او يمتنع او يمنع من ان يسكب الماء او الخمر على قبر المتوفي (فيروللو، ١٩٩٠، صفحة ٣٦ وماقبلها)تبنى الاكديون نفس الفكرة السومرية حول وجود أرواح طالحة مسببه لشر لبني البشر بحسب معتقداتهم ، وتتلخص بان عالم الأموات كان يضم لهم الأرواح والاشباح والاطياف الشريرة والتي اطلقوا عليها اسم اطيمو وهذه الاطيمو المتجسدة بارواح الموتى التي تخرج من أجسادهم لكي تسبب المرض والاذى وحتى الموت لذوي المتوفي بصورة خاصة اذ لم يحسنوا عملية الدفن او لم يقيموا بالطقوس اللازمة لكي تهدئ الروح وتنعم بالراحة في اخر محطاتها ومثواها الأخير وذلك في ارض اللارجعة وبجسب وصفهم فان ابعاد الشقاء والبؤس عن روح الميت في القبر متوقف على العناية بطريقة دفن الجسد سبب الانفصال بين الروح والجسد عند الموت لم يكن مطلقا وبسبب هذا الاعتقاد قام عدد من الملوك بنبش قبور الخصوم ومنهم الملك اشور بانيبال الذي قام بنبش قبور الخصوم من العيلاميين ونقلهم الى مدينة اشور لكي تخرج ارواحهم وتحدث الأذى والضرر بالاحياء في مدينة علام (باقر، ٢٠١٠، الصفحات ٢٧٥,) أن نفس وجهات النظر حول نشوء الارواح الشريرة سادت لدى الاقوام والشعوب في مختلف الحضارات القديمة على اختلاف الاديان و الازمان ، ولكنها تباينت في معرض وصفها لقوة تلك الارواح ، اذ تتقلد تلك الأرواح رتبا مختلفة ممكن ان تكون مثلت قدراتها الأيذائية ضد البشر فمنها العالية والمتوسطة و التافهة، و قد ترسخ هذا التفكير الإعتقادي خاصة في بداية التطور الفكري للإنسان الذي دعي بالتفكير الروحاني ، ولكن المبدأ الإعتقادي كان مبدأ واحدا مسيطرا على جميع المراحل التي مرت على بني البشر في سعيهم لفهم ما يحيط بهم من مخلوقات غيبية خفية ، لذا فان الإعتقاد بوجود أرواح شريرة قد قاد الى قبول وجود إله شرير تتجسد فيه كل أعمال السوء و التدمير التي تصيب الانسان (الماجدي، انجيل بابل، ٢٠٠٧، صفحة ٩٨)ان روح الأنسان أبدية غير قابلة للفناء و إن مسألة الموت لا تعدو كونها عملية تختص بفناء جسد الميت و انتقال روحه ذات النفحة الإلهية الى عالم الأرواح في كور ، وهو العالم الأسفل، وبفضل دم الاله أضيفت روح الى البشر بحيث تثبت انهم حياء دوما بعد موتهم وهذه الروح كانت حاضرة هنا لحفظهم

من النسيان وان الآلهة تبقى بعد الموت على شكل شبح ولكن بدون جسد مادي قد استحوذت فكرة وجود الارواح على عقل الانسان في بلاد الرافدين بشكل واسع، اذ أعتقد البابليون أنهم محاطون بشياطين و أرواح تتمثل بشكل أشباح الموتى تنتظر الفرصة للانقضاض عليهم ، ويصنفونها بـ إنها سبعة خرجت من الارض بشكل صلصال وهذا هو الطبيعة المادية الترابية للبشر ، أما طبيعتهم الإلهية فعُبر عنها سكان بلاد الرافدين بانها روح الإله التي تجسدت بدمه و جسده، و بحسب هذا المفهوم فقد عُدت روح الانسان في معتقدات سكان بلاد الرافدين من بقايا السلالات الإلهية التي تتمتع بالخلود و لا تموت أبدو بتعبير أدق فأن الانسان في بلاد الرافدين يتمتع بروح معنوية مسموعة منحتها له الالهة تبقى بعد الموت على شكل شبح ولكن بدون جسد مادي (مهدي، ١٩٩٩، صفحة ٩٢)و نقرأ أيضا عن روح الميت في العالم الأسفل ما نصه: ((عندما هو جالس في بيت العالم الأسفل حزين و أرواح المغادرين)) (مهدي، ١٩٩٩، صفحة ٩٨) وكان هناك أنواع من الأرواح الأخرى في الطبيعة تختلف عن روح الميت بحسب عملها او ما تجسده من عنصر في الطبيعة كان هناك مكان مخصص لروح كل ميت يصل الى العالم الاسفل على الرغم من كونه سوف يعاني الألم و الأذلال والبكاء ، و هذا ما ذكرته الوثيقة النصية في متحف بوشكن في موسكو، و التي وردت فيها أيضا مقطوعات من أناشيد الندب والألحان الجنائزية، التي أنشدت من قبل أحد الأشخاص المدعو في رثاء روح والده المدعو الذي مات متأثرا : أصيب بها بحسب الوثيقة المذكورة ، ثم يندب نفس الشخص روح زوجة الميت المحبوبة التي ماتت بصورة طبيعية بعبارات الحزن والألم و الأسى ، و يبدأ اللحن الحزين بأنشاد عبارات تتضمن مستوى الشعور بالحزن على فقد زوجة الميت و التي يفترض أنها كانت أم المدعو ،ثم يتغنى اللحن بذكر الإله نينورتا و الإله (نوسكو) و بكاهنة من صنف الـ ، كما يرد ذكر لابناء الميت و زوجاتهم، و بعدها تقام صلاة قصيرة لرفاهية روح الميت ، ثم يستمر اللحن الحزين مع وصف مبالغ فيه لمستوى الحداد على الميت الذي أقيم من قبل بناته ، و من قبل الشيوخ و رئيسات عبيده في الصباح بمدينة (نفر) و يتضمن أحد أسطر تلك الصلاة تلاوة لعنات قطع النسل من قبل الابن الاكبر للميت ضد قاتل والده، ثم ينتهي اللحن بسلسلة صلوات تدعو لروح الميت بالراحة في العالم الاسفل و تتمنى له تلك الصلاة معاملة جيدة من قبل إلهه الشخصي و إله مدينته ، و في المرحلة الثانية من اللحن الحزين تبدأ مراسيم أعلان موت و يستمر وصف حزن و أن ورود بعض الآلهة في صلوات ندب الميت كان بسبب علاقتها بالعالم الاسفل الذي تذهب اليه روح المتوفي على وفق المعتقدات الدينية لسكان بلاد الرافدين ، فمثلا كان إله الشمس (شمش أوتو) بعد أن ينهي رحلته اليومية النهارية في عالم الاحياء، يذهب في الليل الى عالم الاموات ليحول ليلهم الى يقظة وليكون حاكما في ذلك العالم كما يصرف إله القمر نانا سين أيام أستراحته في ذلك العالم أيضا ، و التي تشمل يومي الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من كل شهر، و إن وجود الإلهين المذكورين كان ذا أهمية كبرى، فهم من يقرر مصائر الموتى ، ويتفحص أعمالهم ، كما يمكن لآلهة العالم الأسفل أن تتلوا الصلوات على روح الشخص المتوفي ، اذا شهد إله مدينته في مصلحته ، و بالتالي فان هذا يعني الخير لعائلته من بعده

ثالثا: الحياة بعد الموت والخلود:عندما نتحدث عن معاناه الروح في العالم الأسفل فنجد ان تصور سكان بلاد الرافدين للعالم الاسفل نظاما خاصا به يتضمن قواعد وقوانين يجب على الداخل له أن يلتزم بها و يتضح هذا من خلال بعض النصائح التي يقدمها الكهنة و التي نقرأ فيها"أنت ستهبط الى العالم الاسفل، أتركني أنصحك أنتبه لكلماتي دعني أتكلم معك، أنت يجب أن لا تترك ملابسك نظيفة، يجب أن لاتدهن نفسك بالنفط، من الأناء ، هم يحيطونك برائحة، أنت يجب أن لا تقذف الاعواد في العالم الاسفل، أولئك يضربون بالاعواد في العالم الاسفل ، أنت يجب أن لا تحمل عود خشب في يدك ، الارواح تشعر بالاهانة من أن لا تنتعل النعال في قدميك، أنت يجب ان لا تصيح في العالم الاسفل، أنت يجب أن لا تقبل زوجتك المحبوبة ، أنت يجب أن لا تضرب زوجتك قبلك ، حتى اذا كنت على خلاف معها أنت يجب ان لا تقبل طفلك المحبوب ، أنت ان لا تضرب طفلك حتى اذا كنت منزعج منه "وان التزام الافراد بتلك الوصايا، نجدهم يحاولون دائما تجنيب ارواحهم معاناة ذلك العالم بشتى الوسائل و من أهمها هو التقرب من آلهة العالم الاسفل بتقديم النذور و الهدايا نجد ذلك من خلال النص:فكان من الطبيعي أن تدفن أجساد الموتى في المقابر ، و لكن أرواحهم كانت لاتزال بحاجة الى التقدمات الجنائزية ، و العروض القربانية التي يقدمها ذويهم واهلهم، لكي تسكن و تهدأ في مثواها الأخير ، و إلا سوف تبقى تلك الارواح تائهة في عالم الأموات بل إنها لن تدخل أصلا الى ذلك العالم إذا لم تُدفن كليا أو جزئيا بشكل لائق و تبقى هائمة بين الأحياء لتهاجمهم و تسبب لهم الأذى اما عن معاناه الروح في العالم الأسفل ففي تصور سكان بلاد الرافدين أن للعالم الاسفل نظاما خاصا يتضمن قواعد وقوانين يجب على الداخل له أن يلتزم بها و يتضح هذا من خلال بعض النصائح التي يقدمها الكهنة و التي نقرأ فيها ((أنت ستهبط الى العالم الاسفل، أتركني أنصحك أنتبه لكلماتي دعني أتكلم معك، أنت يجب أن لا تترك ملابسك نظيفة، يجب أن لاتدهن نفسك بالنفط، من الأناء ، هم يحيطونك برائحة، أنت يجب أن لا تقذف الاعواد في العالم الاسفل، أولئك يضربون بالاعواد في العالم الاسفل ، أنت يجب أن لا تحمل عود خشب في يدك ، الارواح تشعر بالاهانة من أن لا تنتعل النعال في قدميك، أنت يجب ان لا تصيح في العالم الاسفل،

أنت يجب أن لا تقبل زوجتك المحبوبة ، أنت يجب أن لا تضرب زوجتك قبلك ، حتى اذا كنت على خلاف معها أنت يجب ان لا تقبل طفلك المحبوب ، أنت ان لا تضرب طفلك حتى اذا كنت منزعج منه)) (رو، ١٩٨٤، صفحة ٢٢١)و نتيجة لالتزام الافراد بتلك الوصايا، نجدهم يحاولون دائما تجنيب ارواحهم معاناة ذلك العالم بشتى الوسائل و من أهمها هو التقرب من آلهة العالم الاسفل بتقديم النذور و الهدايا و في هذا نقرأ: أن أحد الأشخاص المدعو أبن التاجر ((عنده فأس، قد عمله للإله نيركال جزئه الأول من خشب شجر الجبال و هذا الخشب يفوق في صلابته حتى الحجارة ، و ذراع من يحمله لن تتعب من الضرب و اذا انكسر فسوف أصلحه للإله نيركال، أو أستبدله له، لكي يعتنى بي ويقصد الاله نيركال اثناء حياتي ويزودني بالماء النظيف في العالم الاسفل بعد موتي في عيد أرواح الموتى في اليوم التاسع من الشهر عند بزوغ القمر الجديد)) (وادل، ١٩٩٩، صفحة ١٨٣)فكان من الطبيعي أن تدفن أجساد الموتى في المقابر ، و لكن أرواحهم كانت لاتزال بحاجة الى التقدمات الجنائزية ، و العروض القربانية التي يقدمها ذويهم، لكي تسكن و تهدأ في مثواها الأخير ، و إلا سوف تبقى تلك الارواح تائهة في عالم الأموات بل إنها لن تدخل أصلا الى ذلك العالم إذا لم تُدفن كليا أو جزئيا بشكل لائق و تبقى هائمة بين الأحياء لتهاجمهم و تسبب لهم الأذى اما الخلود.

كان الاعتقاد بخلود الروح بعد موتها سمة الشعوب القديمة اما السومريون فقد امنوا بفكرة ان الموت امر محتم على كل انسان و ان الخلود هو من نصيب الالهة وكان اعتقادهم كما سبق الذكر ان الانسان عند موته لا يفنى فناء كامل بل كان جسده الذي يبلى في القبر اما الروح فتنفصل عن الجسد وتنتقل الى العالم الأسفل ولم يفز بالخلود من البشر إلا شخص واحد وهو "زيو سدرا" بطل الطوفان السومري الذي منحته الآلهة الخلود وقامت بوضعه في جزيرة لا يصل اليه الناس ولا يتصل بهم، فهو خلود سجين من الناحية العملية ، وقد حاول بعض السومريون من الملوك والحكماء نيل الخلود إلا أنهم فشلوا أمثال جلجامش ورحلته في البحث عن الخلود. (الماجدي، ٢٠١٨، الصفحات ٤٧-٤٨)نجد أيضا ان الملوك الذين تمتعوا بالالوهية في حياتهم لم يكن الخلود من نصيبهم بل نجدهم في أفضل الأحوال اشباحاً محترمة تطوف في العالم الاسفل ولها بعض الامتيازات تتمثل ب سكناها في قصور ولبسها ملابس فاخرة على هذا الأساس كان الخلود في عقيدة السومريين حكراً على الآلهة، وكان بعض الآلهة موجوداً قبل خلق الكون، والبعض خلق مع خلق الكون، وولد البعض الآخر في مراحل لاحقة. وفي جميع الأحوال كان الآلهة يتمتعون إلى الأبد بالخلود ولم يحدث أن مات اله موتاً طبيعيا (الماجدي، ٢٠١٨، صفحة ٤٨) في رحلة كلكامش عن الخلود والتي خرج فيها بسبب حزنه على صديقه والتفكير الذي أصابه من ان ما حصل انكيدو سوف يجري عليه هو ايضا. فيذهب في رحلته للبحث عن الخلود، فيسافر الى الانسان الوحيد الذي وهبته الالهة الخلود لانه انقذ الجنس البشري من الفناء عندما اعتزمت الآلهة القضاء على البشرية وهو رجل الطوفان اوتونيشتم ، الذي يطلعه على سره ،يدرك جلجامش ان اتو نبشتم حظي بالخلود نتيجة وضع شاذ واستثنائي، فاين الاله الذي سيريد الخلود لجلجامش هنا قرر جلجامش العودة الى اوروك ، بعد أن ضاع اخر امل في تحقيق حلمه المستحيل بالخلود وهكذا تلاشت عوالم الوهم التي عاشها جلجامش واحد تلو الآخر ، فعاد الى الواقع وادرك ان الخلود المادي متعذر ومستحيل على أساس هذا نجد ان الخلود هو خلود معنوي يتمثل بالاثر الذي يتركه الانسان خلفه واعمال الخير التي تخلد اسمه ويكون حيا بها .

الخاتمة:

إن النظام الجنائزي في العراق من منظوره الفلسفي، هو مرآة لرؤية الإنسان العراقي القديم للحياة والموت والوجود. فهو لم ينظر إلى الموت كنهاية، بل كبداية لمسار جديد يتطلب التحضير والاحترام. وقد شكّل هذا التصور نواة لمفاهيم فلسفية وروحية أثرت لاحقًا في الفكر الديني والميتافيزيقي في المنطقة. وفي ضوء ما تقدم، يتضح أن النظام الجنائزي في العراق لا يعد مجرد منظومة طقوسية لوداع الموتى، بل هو تجل لفلسفة وجودية عميقة تنظر إلى الموت بوصفه امتدادًا للحياة، لا نهايتها. فقد كشفت مراسيم الدفن عن وعي جمعي يحترم قدسية الموت ويهيئ الروح لرحلتها القادمة، بينما عبر النظام الجنائزي عن بنية اجتماعية وروحية تعكس التفاوت الطبقي والرؤية الرمزية للحياة الأخرى. أما القبور الملكية والعامة، فكانت مرآة لهذا التفاوت، إذ جسدت القبور الملكية مبدأ الخلود عبر الفخامة والطقوس، مقابل البساطة التي وسمت قبور العامة. وتدل ثنائية الروح والجسد على فهم فلسفي عميق لطبيعة الإنسان، حيث يُنظر للجسد كوعاء فان بينما تخلد الروح في عالم آخر. وفي هذا السياق، يظهر مفهوم خلود الروح لا كاستمرار مادي، بل كبقاء رمزي وروحي من خلال الطقوس والذكر، والارتباط الأبدي بالجماعة الحية.وعليه، فإن النظام الجنائزي في العراق يقدم نموذجا فريدًا لفهم الموت والحياة، يربط بين المادي والروحي، ويكشف عن فلسفة متكاملة تشكلت في قلب حضارة عريقة.

هوامش البحث

ايمان لفتة حسين. (بلا بلا, ٢٠٠٩). الطقوس الجنائزية في بلاد وادي الرافدين خلال الالف الثالث قبل الميلاد. مجلة كلية التربية _جامعة القادسية، صفحة بلا.

جورج رو. (١٩٨٤). العراق القديم. (حسين علوان حسين، المترجمون) بغداد.

خزعل الماجدي. (٢٠٠٧). انجيل بابل. الجزائر: المؤسسة الوطنية لكتاب.

خزعل الماجدي. (٢٠١٨). الدين السومري. دار الشروق لنشر والتوزيع.

شارل فيروللو. (١٩٩٠). اساطير بابل وكنعان. دمشق– سورية: بلا.

صاموئيل كريمر. (بلا). من الواح سومرم/ صفحة ٢٦٢و٣٢٩. بغداد– العراق: مكتبة المثنى .

طه باقر. (٢٠١٠). مقدمة في ادب العراق القديم. بيروت: بلا.

عامر سليمان. (بلا تاريخ). العراق في التاريخ القديم. الموصل: دار الكتب لطباعة والنشر.

فاضل عبد الواحد. (١٩٨٦). عشتار مأساة تموز بغداد .

فاضل عبد الواحد علي. (١٩٨٥). الادب حضارة العراق. بغداد.

محمود فراس الوردي. (٢٠٠٦). المدافن في العراق القديم .رسالة ماجستير غير منشورة.

نائل حنون. (.ص٢٧٤ ،٢٠١٨). عقائد ما بعد الموت (المجلد ط١). (بلا، المحرر) بغداد – العراق، بغداد، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.

وادل. (١٩٩٩). الأصول السومرية للحضارة المصرية (المجلد الاولى). (زهير رمضان، المترجمون) لبنان: الاهلية للطباعة.

وداد الجولاني. (١٩٨٨). رحلة الى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم . بغداد .

ولاء مهدي. (١٩٩٩). الجوانب الفسفية في فكر وادي الرافدين واثره في العهد القديم، رسالة ماجستير باشراف فضيلة عباس مطلك. جامعة بغداد.

ينظر: نائل حنون. (٢٠١٨). عقائد ما بعد الموت. بغداد –العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.